أزمة الحزب الشيوعي السوري والقضية الفلسطينية دراسة مقارنة مع بعض الاحزاب الشيوعية العربية

اسامة الغزي

احتلت القضية الفلسطينية ، بأبعادها الجديدة التي اكتسبتها بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، مكانة مركزية في أزمة الحزب الشيوعي السوري الفكرية والسياسية . وبلغت هذه الازمة ذروتها في أوائل نيسان الماضي ، عندما أذاع الامين العام للحزب ، خالد بكداش ، بيانا علنيا ، اتهم فيه « كتلة » داخل الحزب ، بالعمل على « تبديل سياسة الحزب في كل الميادين الفكرية والسياسية والتنظيمية » وبأنها « تخلت عن النظرة الطبقية والموقف الاممي للحزب الشيوعي من القضايا القومية ... ففي **القضية الفلسطينية** ، عارض أفراد الكتلة افكار النضال من اجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلي وتحرير الاراضي المحتلة وضمان حق الشعب العربي الفلسطيني في العودة الى وطنه وتقرير مصيره على ارضه ، وتبنوا عوضا عنها شعارات متطرفة »(١). بعد أربع وعشرين ساعة من بيان الامين العام ، أذاعت « الكتلة » التي عناها في بيانه بيانا مماثلا ردت فيه على اتهاماته ، واعتبرت عمله « بادرة انشقاقية خطيرة عرضت وحدة الحزب للخطر »(٢). وقد وقع البيان الاخير اكثرية اعضاء المكتب السياسي للحزب (٥ من اصل ٧) ، وبذلك تكون ازمة الحزب الشيوعي السوري ، قد خرجت الى العلن رسميا ، لاول مرة في تاريخه الطويل الذي يقارب نصف قرن .

وبالرغم من أنه لم يرد في أي من البيانين سوى اشارات عامة حول القضية الفلسطينية ، فان الرجوع الى وثائق الحزب ، وبخاصة الى الكلمات التي ألقيت في مجلسه الوطني العام المنعقد في أواخر العام الماضي ١٩٧١ ، يبين بجلاء أن القضية الفلسطينية ، في جميع ابعادها الجديدة التي اكتسبتها بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، قد كانت محورا مركزيا من محاور الخلاف الفكري داخل الحزب . فمن بين القضايا الفكرية المطروحة في المجلس الوطني العام المذكور ، احتلت قضية عدوان حزيران وتقييمها ، وقضية الوجود الاسرائيلي وتحليله ، وقضية الحل السياسي والحل العسكري وحرب التحرير الشعبية والموقف من فصائل حركة المقاومة وظاهرة العمل الفدائي ككل ، معظم مناقشات هذا المجلس ، وحول هذه القضايا كانت المواقع الفكرية ، والمواقف السياسية ، أكثر ما تكون تمركزا وتباعدا ، بين الفريقين المتنازعين داخل الحزب .

المرحلة الجديدة بعد هزيمة حزيران

لقد بات واضحا اليوم ، اكثر من أي وقت مضى ، أسباب هذه الظاهرة بحد ذاتها . فبعد مضي خمس سنوات ونيف على هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، تتأكد ، بالوقائع والاحداث ، عمق الاثار التي ولدتها وما زالت تولدها الهزيمة في بنى الحياة العربية كلها ، مما يؤكد التحليل القائل بأن ما حدث في حزيران ١٩٦٧ لم يكن مجرد هزيمة عسكرية منيت بها الجيوش العربية فقط ، كما لم يكن ، بنفس الوقت ، هزيمة نهائية لحركة التحرير الوطني العربية . ان الوقائع والاحداث ، تؤكد ان هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، كانت نقطة انعطاف حاسمة ، سقطت فيها مرحلة كاملة ، وبدأت مرحلة جديدة في تاريخ كفاحنا الوطني التحرري ضد الحلف الامبريالي — الصهيوني — الرجعي .

أولا : طرحت الهزيمة أبعادا جديدة للقضية الفلسطينية ، فلم تعد مجرد قضية مليون من